ليفي بروفنسال

وثيقة غير منشورة حول الحملة السعدية على السودان

د . لوبنى زبير – جامعة القاضي عياض – المغرب

د. سمير آيت اومغار – جامعة القاضي عياض – المغرب

تعد الوثيقة موضوع هذه الدراسة واحدة من الوثائق الفريدة، لأنها الوحيدة التي تبقت من أرشيف الحملة التي أمر بها السلطان السعدي أحمد المنصور سنة 1590م ضد المملكة الإسلامية لكاو وتمبوكتو. وهي وثيقة تؤكد ما جاء في المصادر الأساسية حول الحملة كمناهل الصفا للفشتالي ونزهة الحادي للإفراني وتاريخ الفتاش لمحمود التنبكتي وتاريخ السودان لعبد الرحمان السعدي.

يعود تاريخ الرسالة إلى يوم 7 دجنبر 1591م، أما مرسلها فهو الباشا محمود زرقون القائد العام للحملة السعدية، ومستقبلها هو أحد أفراد أسرة أقيت، الشيخ عمر بن محمود أقيت الذي تولى القضاء بتمبوكتو يوم 1 فبراير 1585م. ويدور مضمون الرسالة حول الانتفاضة التي اندلعت بتومبكتو بعد احتلال السعديين لها، والإجراءات السعدية لمواجهة هذه الانتفاضة، المتمثلة في إرسال وحدة عسكرية موالية يترأسها فارسان من أركان الجيش السعدي هما بامي بن برون والقائد مصطفى لإعادة النظام. وقد وجدت هذه الرسالة ضمن أحد المجاميع بالقسم العربي من مكتبة الإسكوريال، والذي يضم جزءا مهما من المكتبة الملكية السعدية القديمة.

Le document qui fait l'objet de cette communication, est un document unique, puisque c'est le seul qui reste des archives de la conquête ordonnée par le sultan saadien Ahmad al-Mansour en 1590 contre le royaume musulman de Gao et Tombouctou.

المنارة للاستشارات

C'est un document qui viens renforcer les sources fondamentale sur cette expédition, comme *Manahil al-safa* d'al-Fachtali, *Nuzhat al-hadi* d'al-Ifrani, *Tarikh al-Fattach* de Mahmoud al-Tinbukti et surtout *Tarikh al-Soudan* de Abd al-Rahman al-Saadi.

Le document qui est une lettre datée du 7 décembre 1591, fut envoyée par le pacha Mahmud Zarqun commandeur générale des troupes saadiennes, à un membre de la famille Aqit, qui est le cheikh Omar ben Mahmud Aqit, cadi de Tombouctou depuis le 1er février 1585. Son contenu tourne autour de la révolte de Tombouctou après sa conquête par les Saadiens, et les procédures Saadienne pour affronter cette révolte, en envoyant un contingent loyaliste commandé par deux officiers de l'état major, Bami ben Barun et le qaid Mustafa pour rétablir l'ordre dans la ville. La lettre fut trouvée par E. Lévi provençal, dans un recueil factice au fond arabe de la bibliothèque de l'Escurial, qui comprend une importante partie de l'ancienne bibliothèque royale saadienne.

يعتبر ليفي بروفنسال من بين الباحثين المستعربين الذين تركوا بصمات متميزة في مجال البحث في تاريخ المغرب بفضل الرصيد العلمي الذي خلفه؛ فبعد توظيفه في مصلحة الشؤون الأهلية بشمال المغرب، اهتم بروفنسال بالمنطقة فنشر بالأرشيفات البربرية (*Les Archives berbères*) مقالات متعددة عن اللهجات والإثنوغرافيا والأركيولوجيا. وعلى إثر انتقاله للمدرسة العليا للغة العربية (ستصبح سنة 1921م معهد الدراسات العليا المغربية) بدأ . بإشارة من العميد

المنارة للاستشارات

روني باسي . بالاشتغال على أطروحته "تاريخ الشرفا"، وطيلة سنوات دراسته ركز في أبحاثه على المغرب، فأنجز دراسة حول موقع شالة بمعية هنري باسي.

كان وراء تميز ليفي بروفنسال، اهتمامه بإخراج الوثائق من الأرشيفات واقتران اسمه بنشر الوثائق الدفينة، وهو ما يعكسه موضوع أطروحته الثانية المعنونة بـ: "النصوص العربية في ورغة"، وتوجهه العلمي للسنوات ما بعد 1923م؛ ففي هذا التاريخ سافر إلى إسبانيا ، حيث أسنَدَ إليه وزير التعليم العمومي مهمة البحث في مكتبة الإسكوريال عن الوثائق الكفيلة بانجاز فهرس للمخطوطات العربية الخاصة بالعلوم الدينية والجغرافيا والتاريخ؛ هناك سيعثر بين مجموعة من الأوراق على وثائق ديوانية موحدية قام بنشرها، كما استغل إقامته بإسبانيا لنسج علاقات وثيقة مع المؤرخين والمستشرقين الإسبان.

وبفضل معرفته بخزائن الكتب العمومية والخاصة بالمغرب، توصل لنشر نصوص عربية جديدة كمذكرات الزيري عبد الله وثلاث رسائل في الحسبة ونقائش عربية جديدة، ووصف غير منشور لبلاد الأندلس، ومجموعة من النصوص التاريخية العربية المنشورة بالقاهرة، فتمكن عبرها من إلقاء الضوء على فترات غير معروفة بشكل جيد، وحسم النقاش في مجموعة من القضايا المختلف حولها[1].

ووثيقتنا موضوع الدراسة هي من الوثائق التي عثر عليها ليفي بروفنسال وكشف عنها لتضاف إلى البيبليوغرافية الخاصة بحملة السلطان أحمد المنصور السعدي على السودان.

وُجدت هذه الوثيقة داخل مخطوط للقرآن الكريم، ويُعتقد أن مُستقبِلها الشيخ عمر أقيت قد احتفظ بها ضمن مُصحفه الخاص الذي تمت مصادرته من أسرة الأقيتيين، و احتفظ به فيما بعد بإحدى الخزانات السعدية. نُشرت هذه الوثيقة لأول مرة في العدد الثاني من مجلة *Arabica*[2] التي أسسها بروفنسال نفسه.

لماذا ترجمنا هذه الدراسة؟ يكتسي هذا العمل مشروعيته من تعذر وصول مجموعة من الباحثين للمجلة التي نشرت نص الوثيقة للمرة الأولى و الوحيدة، فبات العمل على ترجمة الدراسة و نشر الوثيقة مرة أخرى شيئا ضروريا لمباشرة الكتابة

المنارة للاستشارات

التاريخية حول الحملة المنصورية على السودان؛ كما أضفنا عدة هوامش توضيحية للدراسة ميَّزناها عن هوامش ليفي بروفنسال بلفظة (المترجمان).

نص الدراسة المُترجمة

شكلت الحملة التي أمر بها السلطان السعدي أبو العباس أحمد المنصور سنة 1590م (1000هـ) ضد المملكة الإسلامية لكاو وتمبوكتو وعاهلها الزنجي حديث العهد بالملك[3] أسكيا إسحاق الثاني، حلقة عنيفة في تاريخ السودان نهاية القرن 16م.

تقررت الحملة بموجب نصائح القادة الأندلسيين من محيط العاهل المغربي، بل وأنجزت تحت إشرافهم، وكان لهذا الحدث أثر في تدفق ذهب السودان بكميات مهمة على خزينة الدولة، ما منح المنصور لقبه التشريفي الثاني: الذهبي، وهي نتيجة أهم بكثير مما حققه الحدث نفسه على مستوى إخضاع طوق النيجر لسلطة السعديين.

إن ملابسات الحملة بقدر ما هي هشة وعابرة فإنها معروفة بشكل جيد. ودون الحديث عن حوليات الأسرة السعدية، خاصة مناهل الصفا للفشتالي[4] ونزهة الحادي للإفراني[5]. هناك كتابان إخباريان متباينا القيمة يرويان أخبار الحملة بتفصيل هما تاريخ الفتاش لمحمود التنبكتي[6]، وبشكل أخص تاريخ السودان[7] لعبد الرحمان السعدي. أما بالنسبة للمصادر الأوربية فهي غير منعدمة، كرواية المجهول الإسباني المؤرخة بسنة 1591، والتي عثر عليها ونشرها هنري دو كاستري سنة 1923[8].

سنذكر باختصار تواتر الأحداث، بمجرد ما تم تقرير القيام بالحملة وتجهيزها، وضعت تحت قيادة القائد الأندلسي جوذر، وقد تكونت فرق الجند التي تولى قيادتها والبالغ عدد أفرادها أربعة آلاف[9] وهو عدد قليل شيئا ما، من رماة راجلين

المنارة للاستشارات

أو على الخيول، كلهم من العلوج الإسبان، وجزء مهم من أصحاب الرماح العرب، وقد غادر هذا الجيش الصغير مراكش في موكب عظيم يوم 16 أكتوبر 1590م، استتبع فيما بعد بحامية مهمة، وقد وصل الجيش إلى النيجر قرب تومبكتو[10] بعد 135 يوما من المشي المضني الذي خلف خسائر ثقيلة في الجيش السعدي.

تجنب جودر مدينة تومبكتو وانحرف نحو الشرق، متتبعا عن قرب الضفة اليسرى لنهر النيجر، قصد الهجوم على كاو عاصمة أسكيا، حيث كان هذا الأخير ينظم المقاومة. وقع اللقاء يوم 13 مارس 1591م بتونديبي[11]، و أفضى إلى اندحار قوات الملك الزنجي رغم أهميتها العددية[12] وانتصار الجيش المغربي، ثم جاز الأسكيا الضفة اليمنى للنيجر طالبا السلم، فتم له ذلك[13].في هذه الأثناء احتل جودر كاو ثم انجلى عنها أملا في العثور على مناخ أكثر سلامة[14]، وفي 25 أبريل من نفس السنة (1 رجب 999) كان دخوله السلمي لتومبكتو.

أعلم السلطان السعدي بسرعة وظن أن جودر قد برهن عن حِلم كبير تجاه أسكيا فعزله، وأرسل من أجل قيادة الحملة[15] في نهاية شهر يونيو قائدا علجا آخرا هو الباشا محمود زرقون، مع تكليفه بمهمة متابعة فتح السودان واحتلال كاو.

وصل القائد الجديد للجيش السعدي بسرعة لتومبكتو يوم 17 غشت[16]، أخذت الحملة منحى آخر إذ تم اجتياز النهر[17] والوصول إلى مناطق الذهب. بعيد ذلك انتهت حملة السودان بسهولة دون أدنى مقاومة من السكان. ليبدأ مسحوق الذهب (التبر) بالتدفق على مراكش[18].

كانت تومبكتو في هذه الحقبة بؤرة نشيطة للثقافة المالكية، وكان القضاة الذين تعاقبوا عليها ينحدرون كلهم من أسرة فقهاء واحدة وهي الفرع الصنهاجي لأقيت، أحفاد محمد أقيت، الذي كان حيا في النصف الأول من القرن 15م، وقد أصبح حفيده محمود بن عمر المزداد سنة 1463م قاضي تومبوكتو سنة

المنارة للاستشارات

1498م وتوفي سنة 1548م. ومارس ثلاثة من أبنائه بالتعاقب القضاء بالحاضرة السودانية الثانية: الأول منهم هو محمد الذي توفي سنة 1565م، والثاني هو العاقب المتوفى سنة 1583م، وأخيرا عمر بن محمود[19] الذي تولى نفس المنصب يوم 1 فبراير 1585 (تمام محرم 993) وسيبقى محتفظا بهذا المنصب طيلة ثمان سنوات[20].

هذا القاضي الأخير هو الذي سيخاطبه القائد جوذر عند دخوله لتومبكتو، طالبا منه إيجاد إقامة مناسبة له بالمدينة وأن يعين له داخلها مكانا لإنشاء قصبة ومخزن للبارود [21]، ولم يبد هذا القاضي – مدفوعا بالضرورة – أية ممانعة لإعلان ولائه لأحمد المنصور[22].

شهورا قليلة بعد ذلك اندلعت انتفاضة بتومبكتو لما كان الباشا محمود زرقون قائدا عاما للحملة السعدية محل جوذر. وقد ذكرت ملابسات هذا التمرد الذي أخمد بسرعة[23] بتفصيل في تاريخ الفتاش[24] ولا داع لتكرارها هنا.

من الطبيعي، بحكم موقع وجود القائد السعدي في السودان على بعد مرحلة من كوكيا، أن يراسل قاضي تومبكتو ليطلب منه الحسابات ويعلمه بإرسال وحدة عسكرية موالية يترأسها فارسان من أركان جيشه هما بامي بن برون[25] والقائد مصطفى[26] لإعادة النظام. فأرسل له لذلك رسالة، يوم 7 دجنبر 1591م (21 صفر 1000هـ)، ونصها هو الذي سنجده هنا، منسوخا، مكتوبا ومصحوبا بالترجمة[27].

إنها الصدفة وحدها التي كانت وراء مساهمتي في إغناء الوثائق العديدة حول الحملة السعدية على السودان، بهذه الوثيقة غير المنشورة والأصيلة. إذا كانت لا تزودنا إلا ببعض التفاصيل الجديدة وحمولتها التاريخية محدودة، فإن خصوصيتها تكمن في كونها بدون شك الوثيقة الوحيدة لأرشيف الحملة التي لم تتعرض للاندثار.

المنارة للاستشارات

عثرت صدفة قبل خمسة وعشرين سنة على رسالة الباشا محمود زرقون إلى القاضي عمر بن محمود أقيت، أثناء معاينتي للمجاميع المصطنعة والتي لم تفهرس بعد بالقسم العربي من مكتبة الإسكوريال، والذي يضم، كما نعلم جزء مهم من المكتبة الملكية السعدية القديمة[28].

أقحمت هذه الرسالة المستعجلة في مخطوط قران مبتور البداية[29]، وكتبت على ورق أبيض من حجم 27 على 20 سم، تشغل الرسالة وجه الصفحة كاملا مع إضافتين كما جرت العادة في دواوين الغرب الإسلامي، الأولى بالهامش الجانبي على اليمين ابتداء من الأسفل، والثانية على الهامش العلوي للرسالة، ويستمر النص على ظهر الورقة؛ أما الخط فهو من الطراز المغربي السريع الخالي من التكلف. تبدو الرسالة استنادا إلى طريقة كتابة حروف التوقيع أنها قد كتبت كاملة بيد الباشا محمود نفسه. أما الأسلوب، فهو قليل التهذيب، دارج في عمومه ولا يقرب إلى طريقة تنميق كتاب القصر في تلك الفترة.

قبل الختام نضيف بعض الكلمات، حول مصير متلقي هذه الرسالة، التي حفظت بشكل عجيب من عوائد الزمن والإنسان. كل شيء يحيل على الظن أن خضوع القاضي عمر بن محمود أقيت كان ظاهريا، فسرعان ما سينقض بيعته للعاهل السعدي، ليقلده في ذلك جميع أفراد عائلته، خاصة ابن عمه الشهير أحمد بابا، مؤلف نيل الابتهاج وكفاية المحتاج، كتكملتين لسجل فقهاء المالكية لابن فرحون المسمى الديباج[30]. أمام موقف الأقيتيين[31]، اتخذ أحمد المنصور في حقهم قرار النفي وأمر بترحيلهم إلى مراكش[32]، حيث وصلوا، مكبلين بالسلاسل، يوم 21 ماي 1594 (1رمضان 1002)، ووضعوا تحت الإقامة المحروسة ولم يطلق سراحهم إلا سنتين بعد ذلك، يوم 19 ماي 1596 (21 رمضان 1004)، في تلك الأثناء توفي عميد الأسرة، القاضي عمر بن محمود، يوم 16 شتنبر 1594 (1 محرم 1003)، وخصص له داخل العاصمة السعدية قبر قرب ضريح القاضي عياض الشهير[33].

المنارة للاستشارات

نص رسالة الباشا محمود زرقون للقاضي عمر بن محمود أقيت

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد

الأجل الأفضل، الأرضى الأحظى الفاضل، القاضي الأعدل سيدي عُمر بن محمود. أحمد الله عواقبكم وجعل النجاح فيما ترومونه ووَفَّقكم سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكيف أنتم وكيف حالكم تَوَحَّشْناكم غاية.

هذا وإنَّنا كتبناه لكم يوم الأحد الحادي عشرون من صفر مُتِم الألف بالقرب من كُوكْيَة برحلة، من محلّة مولانا السعيدة المنصورة، عن خير وعافية، ونِعَم من الله متوالية مُتوافية في سائر جيش مولانا المنصور خلَّد الله سلطانه وإن تشوَّقتم إلى أخبار العبد سُكْيا، وما آل إليه أمرُه، تبعناه إلى أن لقيناه في بلد لا يُسمع له فيها ذِكْرٌ بالكُلّية من بركة مولانا نصره الله وتفرقت عنه جموعُه وأشياعُه وأتباعُه، وطهَّر الله عزَّ وجلَّ منه البلاد، وأراح منه العباد، لله الحمدُ والمنَّة ولقى ما سوَّلته نفسه من أسوإ الحال، وانقادت الناس كلها للطاعة، القاصي والداني، وسكنت روعة الناس والرَّعية من التواريك والسودان واطمأنَّت قلوبُهم، وزال ما كان بهم من الجزع حتى أن الرعية والحمدُ لله في أَمن وأَمان من بركة مولانا السلطان. وأهل الزيغ والفساد، والتخليط والعناد، قطَّعنا دابرهم ومادَّتهم من هذه البلاد، إلى أن شملت العافية الخاصَّ والعامَّ. وهذه الدولة الهاشمية لا يضُرُّها إن شاء الله عزَّ وجلَّ من خاذَلها أو عانَدَها، حتَّى تتعاقب الشهور والأعوام، إلى أن تستولي على الأقرب والأبعد، وهذا الأمرُ قلَّده المولى الكريم، لحَفَدَة نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم إلى أن يضع أمانته في يد عيسى إن شاءَ الله.

وقد بلغنا ما هُم عليه أهل تِنْبُكتو من الهَرَج والتخليط، وما سوَّلت لهم أنفسُهم مع من أتاهم من خُدَّام الباغي المفسد سُكيا، وضايقو أصحابَنا الذين هناك، وسوَّلت لهم أنفُسهم ما يلقونه إن شاء الله في أقرب وقت: إنَّه على ما يشاء قدير. كيفَ، وأنت قُدوة هذا الصقع السوداني، ومسموع كلمة، ويحدث هذا

المنارة للاستشارات

الهرج بمحضركم، مع أنَّكُم من أحبَّاء هذه الدولة الهاشميَّة، وتترك العامة على غرضها، مع أنكم تطيقون على إطفاء نار الفِتن، والعامّة لا عقل لها: إن لم يَجدوا مَن يردعهم ويُحذِّرُهم عن فعلهم الذميم، لا يلتفتون إلى ما يأتيهم من عواقب الأمور، الحاصِل إنَّ عمدة هذه المسألة عليكم، وذنوب الرعيَّة والمساكين المهدَرة دِمَاؤهم على رقبتك، لأنَّك قاضِي الإسلام، وتعرف ما بينك وبين الله عزَّ وجلَّ وتعرف ما يستوجب نَّاكِثَ عهدِ بيت النبوّة مولانا أبي العبّاس المنصور.

إلى هذا، ها نحن وجَّهنا لتلك الناحية أربعمائة راميٍ من أعيان جيش مولانا المنصور، لتدويخ تلك البلاد، وإطفاء نار الفِتَن بها، وتمهيدِ تلك البلاد. ومن ظهر فيه فسادٌ، يستوجب العقوبة بموجب شريعة النبيّ الكريم صلَّى الله عليه وسلَّم وقد أخذنا، والله عليك، لأجل ما نعتقده فيك من المحبَّة في هذه الدولة السعيدة. كَيفَ لم تُعرِّفنا، حين حدث هذا الهَرَج، مع أحَد مَرَاسليك لأَنَّ أهل هذه البلاد كُلّها منقادة للسمع والطاعة إليكم، ومُمَثّلِين أمْرَكم لو كلَّفتَ على أحد من أهل البلاد الإتيان إلينا، لفعل لاكِن ظهرت لنا أمور، وقبلنا معذرتكم بها. ونحن لا نحتاج إلا الدُّعاء الصالح منكم، وبَرَكتُكم تصحبُنا، وأمَّا الغير، هَنِّ نفسك منه إن شاء الله عزَّ وجلَّ بحوله وقوَّته إن عادت العقرب، عُدْنا لها، والنعلُ لها حاضرٌ، مع أن أهل تِنْبُكتو عَامَلناهم بالخير الجزيل: أدَّينا عليهم ما أُخِذَ منهم من المظالم واحتاج الجيش إلى الزرع، واشتريناه بذَهَبنا خشية من تغيير قلوب أهل تنبُكتو، واحتَجْنا إلى لإبل، واشتريناها أيضًا هذا كلُّه من شفقتنا عليهم، لم نكلِّفوهم بشيء، ولا ضايقَناهم في أمر من الأمور، وكلُّ من احترم بجانبكم، عامَلناهُ بخير.

إلى هذا، ها نحنُ وجَّهنا بامِي بن بَرُون مع القائد مصطفى، بأربعمائة راميًا من جيش مولانا المنصور، لتمهيد تلك البلاد وتسكينها. وما عليكم أن تكلّم الخبر لأهل البلد، وتُسكِّنَ روعتهم، لأنَّ الذي صدر منهم، عَلِمْنا انَّه بالقهر منهم، وعَفَونا عنهم، وسمَحنا لهم لوجوهكم. والسلام.

وكتب مملوك المقام العليّ:

المنارة للاستشارات

محمود لطَّف الله به، أمين.

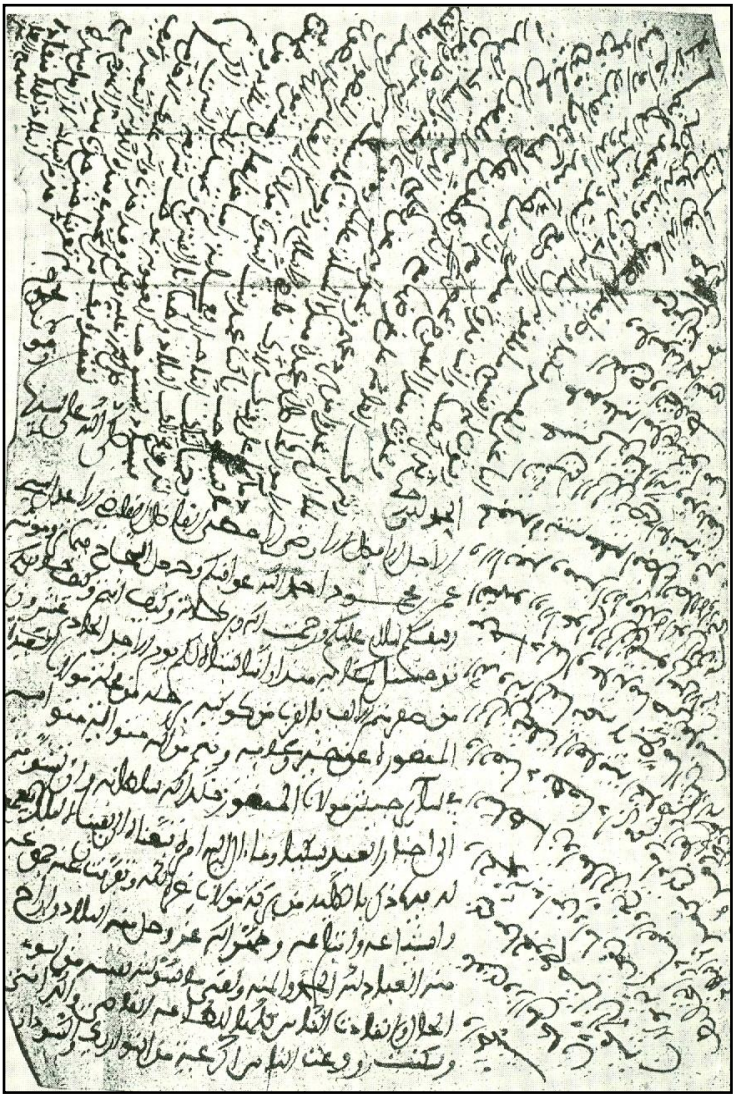

رسالة الباشا محمود زرقون لقاضي تمبوكتو. (وجه الرسالة)

المنارة للاستشارات

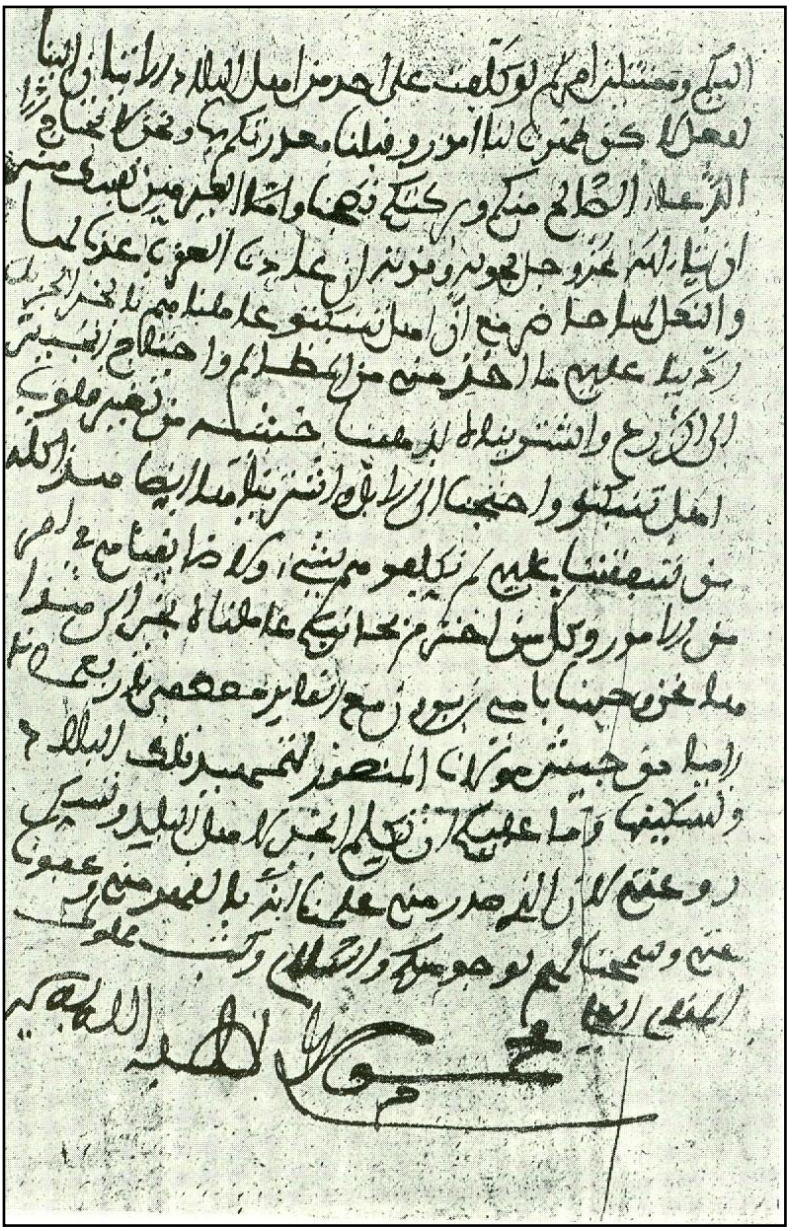

رسالة الباشا محمود زرقون لقاضي تمبوكتو. (ظهر الرسالة)

المنارة للاستشارات

[1] Terrasse, H., "*Nécrologie E. Lévi-provençal, (1894- 1956)*", *in* **Hespéris**, Tome XLIII, 3e et 4e trimestres. 1956, pp. 251-255.

[2] Provençal, L., "*Un document inédite sur l'expédition Sadide au Soudan*", *in* **Arabica**, tome II, Fascicule I, janvier 1955, pp. 89-96.

[3] تولى أسكيا إسحاق الحكم يوم الأحد الثالث عشر من جمادى الأولى عام 996 هـ. أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، وقف على طبعه هوداس، Librairie d'Amérique et d'orient, Adrien Maisonneuve، باريس، 1981. ص. 125. (المترجمان)

[4] حول المؤلف ومؤلفه ينظر كتابنا:

Historiens des Chorfa, Paris, 1922, pp. 92-97.

وحوليات الفشتالي التي عُثر عليها ولم تنشر بعد. (نشر كنون عبد الله نسخة مختصرة من الكتاب تحت عنوان: **مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا**، المطبعة المهدية، تطوان، 1964، في 247 صفحة تقديما و نصا عدا الفهارس). (المترجمان).

[5] ***Ibid***., pp. 112-131.

[6] نشر وترجم من طرف:

Houdas, O., Delafosse, M., ***Documents arabes relatifs à la l'histoire du Sudan***, (*PELOV*, cinquième série, IX- X), Paris, 1913.

[7] نشر وترجم من طرف:

Houdas, O., Benoist, E., (*PELOV*, cinquième série, XII-XIII),Paris, 1898. Cf.

المنارة للاستشارات

حول هذين المؤلفين: ***GAL***, II, 467-68 ; ***S*** II, 717. ـ مؤلف ثالث، أكثر اختصارا ومجهول، يعود لنفس الفترة، معنون بتذكرة النسيان (cf, ***GAL***, loc. cit.).

ألف عبد الرحمان السعدي كتابه هذا سنة 1650م، وقد تعقب فيه تاريخ السودان الغربي من خلال إمبراطورياته وممالكه كما تعرض فيه للعمارة والحياة الاجتماعية للسودانيين ولأثر الحملة السعدية على البلاد، عثر على الكتاب في جِنِي من طرف فليكس دوبوا Félix Dubois. (المترجمان).

[8] De Castries, H., "*La conquête du Soudan par El-Mansour (1591)*", *in* **Hespéris**, Tome III, 1923, pp. 433-488.

هذا البحث هو الأفضل حول المسألة.

[9] يذكر عبد الرحمان السعدي أن المنصور أرسل: 3000 راميا من بين أصحاب الخيل والرجل، ومعها من الأتباع ضعفين في محرم 999هـ. أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص. 176. (المترجمان).

[10] "نزلوا عند قرية كربر، أقام بها الباشا جوذر احتفالا فرحا بوصولهم النهر سالمين ، وكان ذلك يوم الأربعاء 4 جمادى الأولى 999هـ". أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص. 139. (المترجمان).

[11] بموضع يقال له تنكندبغ قرب تندبي. أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص 140. (المترجمان).

[12]. حسب أخبار عبد الرحمان السعدي بلغت قوات الأمير أسكيا إسحاق اثني عشر ألفا وخمسمائة من الخيل وثلاثين من أرباب الرجل. أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص. 140. (المترجمان).

[13] في انتظار وصول جواب السلطان على الرسالة التي بعث بها جوذر يستشيره في طلب الملك إسحاق الصلح مقابل أداء ضريبة سنوية إضافة إلى أموال طائلة. أنظر الإفراني محمد، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تقديم و تحقيق

المنارة للاستشارات

عبد اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، 1998. ص. 94. (المترجمان).

[14] كان القائد جوذر باشا قد سئم الإقامة في كاو كما أن الجيش اشتكى من وخامة تلك البلاد واستيلاء الأسقام عليهم. أنظر: الإفراني محمد، **نزهة الحادي**، صص. 167- 168. و في المناهل أن العساكر خيمت بكاو "وألقوا بها عصى التسيار واعتاموها دار قرار ثم ألفوها مستوئبة وخيمة الهواء منحرفة المزاج لا تقتنص بها الصحة إلا بشرك علاج ولا يستشعر بها برد الصحة إلا من ألف جوها ودب من وكرها وربى في أفقها وأما الوارد عليها فقلما سلم من عادية وخامتها إلا بعد استحكام صبغتها ولبس جلدتها فطرقتهم بسبب ذلك الوعك وسرت فيهم الأسقام ودبت في جميعهم أو كادت الأوجاع والآلام وحذروا مغبة استيلاء الآلام على جميع العساكر فلم يكن لهم حينئذ مندوحة من ارتياد بقعة سواها وإدالتها ووافق ذلك إرسال العبد سكية إليهم وإلقاء نفسه عليهم نزوعا إلى السلم...". أنظر الفشتالي عبد العزيز، **مناهل الصفا على مآثر موالينا الشرفا**، دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، د.ت. ص. 146. (المترجمان).

[15] دامت فترة قيادة جوذر لجيش الحملة مدة تسعة أشهر من شهر محرم إلى 26 من شهر شوال. مجهول، **تذكرة النسيان في أخبارملوك السودان**، مخطوط مُصور بالبوابة الالكترونية للمكتبة الوطنية الفرنسية، ص. 2. (المترجمان).

[16] الجمعة 26 شوال عام 999 هـ. أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص. 145.

"محمود بن علي بن زرقون وطلوعه يوم السادس والعشرين من شوال عام التاسعة والتسعين جاء من مراكش في ثمانين راميا كاتبهم مامي بن برون وصل تنبكت يوم الجمعة السادس والعشرين من شوال ومعه القائد عبد العال والقائد حمو بركة فعزل جوذر مباشرة. وتحول الجيش معه". أنظر: **تذكرة النسيان في أخبار ملوك**

المنارة للاستشارات

السودان، ص. 2. والسعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص. 144. (المترجمان).

[17] "بمجرد وصول الباشا محمود بن زرقون المدينة أمر بإنشاء قوارب جديدة لأن القوارب التي كان يستخدمها السكان لاجتياز النهر هرب بها صاحب المرسى عند وصول جوذر إلى تمبكتو. وكان مجموع ما تمكن الباشا محمود من صنعه من قوارب قاربين فقط". أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، صص. 145- 146. و**تذكرة النسيان**، ص. 2. (المترجمان).

[18] حول العلاقات الاقتصادية بين المغرب والسودان، أنظر الدراسة المتميزة لموريس دولافوس:

Delafosse, M., *"Les relations du Maroc avec le Soudan à travers les âges"*, *in* **Hespéris**, Tome IV, 1924, pp. 155-174.

"ولما فتح عليه مماليك البلاد السودانية حمل له من التبر ما يغير الحاسدين ويحير الناظرين حتى كان المنصور لا يعطي الرواتب إلا النضار الصافي والدينار الوافي وكانت ببابه كل يوم أربع عشر ماية مطرقة تضرب الدينار دون ما هو معد لغير ذالك من صوغ الإفراط والحلي وشبه ذلك ولأجل ذلك لقب بالذهبي لفيضان الذهب في زمانه.". أنظر: الإفراني محمد، **نزهة الحادي**، ص. 168. (المترجمان).

[19] يرد اسمه في تاريخ السودان أيضا هكذا: الخطيب محمود درامي، وهو من القلة الذين بقوا بتمبوكتو مع الطلبة ومن لم يقدر من الهروب منها من التجار بعد هزيمة الأمير اسكيا، وقد التقى بالباشا جوذر وقام بضيافته. أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص. 141. (المترجمان).

[20] كل هذه التفاصيل واردة في تاريخ الفتاش:

Tarih al-fattas., pp. 219 et n. 3, 227 et passim.

المنارة للاستشارات

[21] ورد عند عبد الرحمان السعدي أن الباشا جوذر طاف المدينة وطالعها ووجد أكبر حوماتها عمارة هي حومة الغدامسيين، فاختارها للقصبة وشرع في بناها . أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص. 142. (المترجمان).

[22] ***Ibid***., p. 278.

[23] ابتدأ التمرد من محرم فاتح عام مكمل ألف واستمر إلى 12 ربيع الأول. أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص. 156.

[24] Trad. Fr., p. 299 sqq. Récit moins détaillé dans ***le tarih al-Sudan***. Trad., p. 240.

[25] يرد اسمه في تذكرة النسيان مرة برون وأخرى مامي بن بردوان، وعند عبد الرحمان السعدي مامي بن بارون، كان كاتب الفرقة التي بعثها السلطان أحمد المنصور بقيادة محمود بن زرقون، ويرجع إليه الفضل في انتهاء الفتنة بين أهل تمبوكتو وقائدها السعدي مصطفى، وصفه عبد الرحمان السعدي بالرجل العاقل اللبيب القسيس، حكم جني مدة سنتين، توفي حوالي 1021. (المترجمان). أنظر: السعدي عبد الرحمان، صص. 145،157،171،205. و**تذكرة النسيان**، ص. 2. (المترجمان).

[26] يحمل قائدان من الحملة هذا الاسم: مصطفى التركي ومصطفي بن عسكر: Cf. H. De Castries, ***op.cit***., p. 445.

[27] سنُعرض هنا عن إيراد نص الترجمة الفرنسية وسنكتفي بالنص العربي. (المترجمان).

[28] انظر مقدمة الجزء المنشور برعايتنا لفهرس المخطوطات العربية بالإسكوريال: (*PELOV*, sixième série, III), Paris, 1928, pp. VIII-IX.

[29] Fonds arabe Esc. n° 1900 (= *legajo* n° 17).

[30] أنظر كتابنا:

Historien des Chorfa, pp. 250-255.

المنارة للاستشارات

خصص أحمد بابا في كتابيه كل فقيه من أسرته بترجمة.

[31] حسب رواية عبد الرحمان السعدي لا يبدو أن الأقيتيين نقضوا أو امتنعوا عن بيعة السلطان السعدي حيث أسِروا بالجامع عند اجتماعهم، بعد وصول دورهم لتقديم البيعة علنا للسلطان كما فعل أهل تمبوكتو قبلهم بيومين اثنين. أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص. 169. (المترجمان).

[32] حول كيفية الإيقاع بأسرة الأقيتين أو الفقهاء. أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، صص. 169-174. (المترجمان).

[33] ***Tarih al-Sudan***, trad. fr., p. 324.

من المحتمل أن تكون الرسالة المنشورة هنا قد حُملت من طرف عمر أقيت من تومبكتو إلى مراكش حافظا إياها في نسخته المخطوطة من القرآن، لتنتقل بعد ذلك مع القرآن لخزانة الكتب السعدية بعد مصادرة وقعت إثر وفاته بقرار سامٍ.

المنارة للاستشارات